المحاضرة الثانية: منهجية البحث الاصطلاحي

تمهيد:

يستدعي الحديث في منهجية البحث الاصطلاحي توضيح دلالة كلمتي "البحث" و"المنهجية" أولا لأنهما تشكلان أساس عنوان محاضرتنا، نبدأ بالتعريف اللغوي والاصطلاحي، **البحث في اللغة:** "طلبك الشّيء في التُّراب، والبحث أن تسأل عن شيء". جاء في كتاب التعريفات للجرجاني بأن البحث في اللّغة هو "التّفحُّصُ والتّفتيش". **والبحث في الاصطلاح:** هو "إثبات النّسبة الإيجابية أو السّلبية بين شيئين بطريق الاستدلال".

أما **مفهوم المنهجية** فهي "علم قائم بذاته، يأخذ الطّرائق المتّبعة في دراسات الأدب والتّاريخ والاقتصاد وعلم النّفس (...) لينظر في أسسها العامّة المنهجية دراسة استقرائية تصنيفية مبنية على المقارنة..."، فالمنهجية هي النّظرة العلمية التي يتأسس عليها علم من العلوم، بإتباع أسلوب الجمع والمقارنة والتّنصيف. فإذا أخذنا علم المصطلح الذي نحن بصدد الحديث عنه نجده فعلا يتّبع هذا الأسلوب، حيث يلجأ إلى المقارنة التّصنيف في منهجية وضع المصطلحات وتوحيدها أو تنميطها.

إن نجاح المصطلحي في أعماله البحثيّة المتعلّقة بالمصطلح مرهون بمدى تحضير أساليب وطرائق تُفْضِي إلى تحقيق نتائج مفيدة، لذلك يرى الباحثون "أنَّ مضاعفة مردود البحث الاصطلاحي يتطلّب طرائق ووسائل تقتضي الرُّجوع إلى الاستعمال الحقيقي للمصطلحات، ويعني ذلك المسح الكامل له، والاهتمام بما وضع من لفظ عربي للمفهوم نفسه، والحصر الكامل والمستمر لما يضعه العلماء باستمرار من المصطلحات على مستوى الوطن العربي".

من المفيد الإشارة إلى أنَّه من الضّروري توخّي الدّقة اللّغوية، ويكون ذلك بحسب توظيف اللّغة بطريقة صحيحة سليمة لأنّها "وسيلة فعّالة للمعاونة على التفكير القويم المباشر، ذلك أنّه من الضّروري لكي نُعَبّر بالكلمات عمّا نَعْنِيه بالضّبط أن تكون أذهاننا ذاتها مُدْرِكة تماما لما نعنيه، فنحن نفكّر ونستدل عن طريق الكلمات" التي تُعبّر عن الأفكار والتّصورات وتحمل مفاهيم علمية يُفترض أن تكون منظّمة ومنسجمة وفق منهجية واضحة وأسس علمية دقيقة.

الأسس المنهجية للمصطلحية:

تتأسس الدّراسات المصطلحية على بعدين أساسيين: أما البعد الأول فهو ذو طبيعة تطبيقية إجرائية، بينما ركّز أصحاب البعد الثّاني على الجانب النّظري؛ لذلك فقد ألفينا تباينا واختلافا بين الباحثين في منطلقاتهم المنهجية في التّعامل مع المصطلح، غير أنّهم يتّفقون في الهدف الرّئيس وهو ضبط المصطلح، فقد أصبح يمثّل الدّراسة النّسقية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى مجالات مختصّة من التّجربة الإنسانية، لأنّ علم المصطلح يسعى لوضع نظرية ومنهجية لدراسة مجموعات المصطلحات وتطورها، كما يسعى جاهدا إلى جمع المعطيات المصطلحية ومعالجتها، بل يعمل على توحيدها عند الاقتضاء".

لقد أصبحت وظيفة علم المصطلح النّظري واضحة بالنّسبة للدّارسين؛ إذْ تقوم بدراسة التّصورات ثم تعمل على تحويلها إلى مفاهيم، بينما تُعنى المصطلحية التّطبيقية بكيفية تسميتها وفق معايير علميو واضحة. ومهما يكن من أمر فعلم المصطلح بحاجة إلى الجانبين كليهما: الجانب النظري والجانب التّطبيقي، شأنه في ذلك شأن العلوم الأخرى التي تتأسّس على البعدين بكيفية تكاد تكون تلازمية.

إذا كان علم المصطلح النّظري يقوم بوظيفتين اثنتين هما: تَمَثُّلُ المعرفة ونَقْلها فإنّ علم المصطلح التطبيقي "يُركّزُ على اللغة المتخصّصة والمقاربة التَّصورية وأُحادية المعنى ووجهة نظر تسمية الأشياء والمفاهيم والتَّقعيد ووجهة نظر التّزامنية والتّصنيف المنهجي".

غنيّ عن البيان ونحن نتحدث عن منهجية البحث الاصطلاحي الإشارة إلى أنّ العمل المصطلحي يتطلب خطة علمية ينتهجها المصطلحي ويتبع سبيلها؛ لذلك فقد اقترح بعض الدّارسين خطة شاملة، وقد كانت على النّحو الآتي:

- تحديد المُتصوّر.
- الكشف عن المفهوم.
- وضع التّعريف.
- تحديد التّقييس.
- ضبط المجال العلمي.
- تحديد المجال الوظيفي.
- ضبط التخصّص التّطبيقي.

بقي أن نشير في ختام هذه المحاضرة إلى أهم المدارس لعلم المصطلح التي تُعَدُّ مرجعا أساسيا في هذا العلم، ومن أهم المدارس نذكر ما يأتي:

1-المدرسة النمساوية: ويتزعّمها (**فيستر**) الذي يعدُّ رائدا حقيقيا ليس لهذه المدرسة فحسب، وإنّما رائد علم المصطلح ككل: فقد انطلق هذا الرّجل في نظريته من المفاهيم لوضع المصطلحات، حيث اعتمد على المنطق والانطولوجيا وعلم التوثيق والمعلوماتية للبحث في العلاقات الرّابطة بين المفهوم والمصطلح.

2-جماعة براغ: من أشهر أعلامها (**دروز**) لقد كان لهذه المدرسة بعد وظيفي؛ إذْ إنّها تَعْتَبِرُ أنَّ للمصطلح دورا وظيفيا في اللغة المهنية، خاصة في الوضعيات التي تَعْرِفُ تعدُّدًا مصطلحيا؛ لذلك فهي تدعو إلى التّوحيد والتقييس، وتُحذّر من التَّعدد الذي يؤدّي غالبا إلى الاضطراب والفوضى الاصطلاحية.

3-المدرسة الفرنسية: من أبرز روادها (**فلبار**) الذي ركّز اهتمامه الكبير على الاشتقاق المصطلحي وكيفية توليده وتعريفه وتقييسه، معتمدا في كلّ ذلك على مفهوم الحقل الدّلالي، ومن ثمة منهجية البحث التي تعتمد أساسا على التّصنيف المصطلحي وفق الحقول المعرفية المتخصصة.

4-المدرسة البريطانية: من أبرز أعلام هذه المدرسة (ساجر) أما عن منهجية هذه المدرسة في البحث الاصطلاحي فتُعنى أساسا بالجمع بين الجانب النّظري والجانب التّطبيقي، كما كانت عنايتها واضحة في مسألة التّفريق بين المصطلح والكلمة من جهة، وبين اللّغة الخاصة واللّغة العامة من جهة ثانية، وقد حرص هذا الاتّجاه أيضا على ضرورة وضع قواعد يكون لها إسهام في تعليمية المصطلح.

5-المدرسة البلجيكية: ما يُميّزُ هذه المدرسة عن غيرها من المدارس السّابقة هي النّظرة الشمولية في العمل المصطلحي، بحيث لم تحصر مجال الدراسة في جانب معيّن، وإنّما عملت على توسيع مجالات البحث الاصطلاحي، فقد جمعت هذه المدرسة بين المصطلحية والتّرجمة العامّة والتّرجمة الفوريّة، لذلك كانت عنايتها كبيرة بجميع أشكال المعرفة وشتّى أنواع صنوفها.

وقد عمدت هذه المدارس وغيرها من مراكز البحوث والمؤسسات التي اهتمت بالأبحاث في حقل المصطلحات سواء في كندا أو فرنسا أو غيرهما من دول أوربا وأمريكا، إلى عقد مؤتمرات دولية وندوات في الموضوع، كما عملت هذه المدارس من خلال مراكزها المتعددة إلى جانب المنظمة الدولية للتقييس (Iso)التي ساهمت في تكريس النظرية المصطلحية العامة بجملة من الأدلة تشمل على مقاييس ومواصفات اقترحتها للتطبيق في المؤسسات المصطلحية الدولية منها :

- دليل مبادئ التسمية (1968) R 704 –وهو مطبوع سُطِّرت فيه المبادئ التي ينبغي مراعاتها لدى تكوين المفاهيم وأنظمة المفاهيم والمصطلحات والتّعريفات.
- دليل التّوحيد الدّولي للمفاهيم والمصطلحات (1968 – R860) وتوصياته لا تتناول فوائد توحيد المفاهيم والمصطلحات والإمكانات المتاحة في هذه المجالات فحسب، وإنّما حدوده والصّعوبات التي تعترضه كذلك.
- دليل الرّموز الخاصة باللّغات والأقطار والسّلطات، ويحتوي على قوائم باللّغات والأقطار والسّلطات وما يقابلها من رموز ثم الاتفاق عليها دوليا.
- دليل الرّموز المعجمية المستعملة على الأخص للمفردات المصنّفة المعرفة:وفيه عرض للرّموز المعجمية الموحدة واستعمالاتها.